سوريا

نزار قباني

الكلمة للمعركة

في السادس من اكتوبر (تشرين الاول) بدأ تاريخنا الحقيقي. الحرب هذه هي ولادتنا ، والحل الاول والاخير لقضيتنا .

ولا يتوقع الانسان من الحرب هذه سوى البعث والميلاد ، وامامها يبدو كل شيء هامشيا : الكتابة ، القصائد ، وحتى الفكر . لا وجود هنا للحوار ، لا بالنسبة الى المثقفين ولا بالنسبة الى الانتلجنسيا . لا قيمة لهذا كله ، لان المعركة هذه هي معركة حياة او موت . انها المفتاح الى خلودنا ، وكل طرفات الماضي كانت طرقات وهمية ضبابية .

في السادس من تشرين الاول (اكتوبر) بدأنا نكتشف طريق وجودنا الحقيقي . وبين الحياة والموت خطر وهمي دقيق ، اذا لم نتجاوزه وندخل في لعبة الموت ، لن نعرف الحياة . وموتنا سيفجر المواسم الجديدة وسنكون طائر الفينيق الذي يحترق ومن رماده تطلع الحياة .

ان هذه هي معركة العرب جميعهم ، واي قطر يتخلف او يهرب يسلم روحه للشيطان . فلا بد لكل انسان عربي أن يدرك ولا بد لكل دولة عربية ان تدرك ان لا وجود للحياد ههنا ولا مكان للمتفرجين على المقاتلين . فالجيشان السوري والمصري يدافعان عن شرفنا وعن تاريخنا ، عن بيوتنا وعن نسائنا وعن أطفالنا . اننا امام محك صعب وكل موقف انهزامي سيحاسب عليه التاريخ .

النهار
١٤ تشرين الاول

دعوة عاجلة » لاحتياطي « الادب

عندما تبدأ آلة الحرب بالتحرك تصبح الة الادب في مرتبة ثانوية . وليس هذا انتقاصا من منزلة الادب ، بقدر ما هو محاولة لتقييم الاشياء بحسب مردودها ونتائجها المباشرة .

ان العمل الادبي بطبيعته يحتاج الى حد ادنى من الصبر والنضج والتخمر ، بينما لا تحتاج الرصاصة الا للمسة اصبع لتنطلق من ماسورتها .

ومن هنا يتضح ان منطق المسدس هو غير منطق القصيدة .

ان عبور قناة السويس مثلا ، كان يعتمد بالدرجة الاولى على لعبة الزمن وهو في الحروب المعاصرة يحسب بالثواني ، في حين ان كتابة رواية عن العبور العظيم قد تستغرق اشهرا بل سنين لتكون بمستوى هذا العبور الاسطوري .

على ان هذا لا يعفي الاديب من مهمة اتخاذ موقعه في صفوف الشعب ، حيث يمكن لكلماته ان تشارك في تعبئة القوى النفسية ، ورفع معنويات الجماهير ، وزرع بذور البطولة والامل في وجدان الشعب .

ان الخطوط الخلفية للمعركة تمتد بالعمق في كل ترابات الوطن العربي .

وعلى هذا المسرح العربي الواسع يستطيع الكاتب ان يلعب دوره ويؤدي « خدمته العسكرية » .

واذا كانت الدول العربية قداستنفرت جيوشها، ودعت احتياطييها خلال ٤٨ ساعة ، فان على « ضباط الادب » العربي واحتياطييه وقدماء محاربيه ، ان يتجمعوا هم ايضا خلال ٤٨ ساعة ومعهم اوراقهم الثبوتية واقلامهم .. ووطنيتهم .

اما مكان الاجتماع فيمكن ان يكون في أي مكان : في الشوارع.. في الازقة .. في الساحات العامة .. في الجامعات .. في المدارس .. في مكاتب الصحف اليومية .. في حقول المجلات الاسبوعية .. في الجوامع .. في الكنائس .. على ظهور الاوتوبيسات .. على أغصان الشجر .. على أعمدة النور ..

أيها الادباء العرب :

كل القطارات مسافرة الى الجبهة ..

كل القطارات مسافرة الى المجد ..

فتجمعوا بسرعة ..

لانكم اذا لم تكتبوا اليوم ، فلن تكتبوا أبدا ..

الانوار
١٦ تشرين الاول

يموتون عن العرب بالوكالة

ربع مليون جندي مصري ، كسروا قمقم الصبر أخيرا ، وقفزوا الى الضفة الشرقية لقناة السويس ، لكي يستردوا للامة العربية شرفها الضائع ..

ومئة ألف جندي سوري ، ينهمرون كالبرق على مرتفعات الجولان ليضيئوا من جديد تاريخنا الغارق في العتمة ..

جيشان عربيان شجاعان ، احتضنا بصدرهما مسؤولية التحرير ، واتخذا قراراً بالحرب ، ودخلاها بالنيابة عن بقية العرب ، وبالوكالة عنهم ...

لكن الحرب ليست وكالة بالبيع ، او بالشراء ، او بالموت ، ينوب بها الوكيل عن الاصيل .. ولا هي (كمبيالة) قابلة للتجيير من يد الى يد ..

فالقضية الفلسطينية ليست ميراث مصر وسورية فقط . و (كمبيالة) فلسطين ليست دينا عليهما وحدهما ... وانما هي دين مستحق على الدول العربية جميعا ، بصرف النظر عن قربها او بعدها ، او موقعها الجغرافي .

ذلك ان الجغرافيا ـ كما تفهمها اسرائيل ـ لا يكتبها مدرسو الجغرافيا في مدارسها ، وانما يكتبها قادتها العسكريون ، وجنرالاتها العنصريون . وقد كان الجنرال دافيد اليعازار رئيس الاركان الاسرائيلي واضحا جدا في التعبير عن طموحه الجغرافي حين قال : (ان يد اسرائيل قادرة على الوصول الى أي مكان تشاؤه في البلاد العربية) .

ومثل هذا الكلام بالطبع ، يجعل دول المواجهة ودول عدم المواجهة سواسية امام كرباج دافيد اليعازار الطويل الذي يرفعه في وجوه العرب ، كل العرب ، بمناسبة وبغير مناسبة ...

نحن جميعا ، في تصور قادة اسرائيل ، كأسنان المشط ... وحلم العسكرية الاسرائيلية هو ان تكسر أسنان المشط الواحد بعد الآخر .. وتقيم أعمدة مملكة (يهوه) على أنقاض المشط العربي المكسور ...

ان هذه الحرب مختلفة .. مختلفة .. مختلفة .

وهي لن تقرر مصير شبه الجزيرة العربية فحسب ، ولكنها ستقرر مصير (النوع العربي) كله .. فاما ان نربح الجولة ونبقى .. واما ان نخسرها فنندثر ..

لقد فتح المصريون والسوريون امامنا الضوء الاخضر ، وصححوا صورة المقاتل العربي في ذهن العالم ، وثقبوا (بالون) الغرور الاسرائيلي ، واستطاعوا خلال الساعات الاولى من المعركة ان يجرحوا الذئب ، ويقتلعوا بعض اسنانه ..

فعلى الذين لا يزالون في مقاصير المتفرجين ان يشتركوا في مطاردة الذئب .. قبل ان يرتد عليهم .. ويأكل زوجاتهم واطفالهم ، ويحول بناتهم الى سبايا .

وعلى الذين ينتظرون في المحطة وصول قطار النصر اليهم ، ان يتعلقوا بالقطار المتجه الى الجبهتين المصرية والسورية ... لانهم اذا لم يفعلوا ذلك .. فسوف يبقون حفاة عراة .. على ارض التاريخ .

انني أنادي ، بكل محبة ، اسنان المشط العربي ان تتلاصق ، وتتساند ، وتشد ازر بعضها ..

انني أنادي بقية اسنان المشط ، الطويلة والقصيرة ، الغنية والفقيرة ، الكبيرة والصغيرة ، المسالمة والمتوحشة ، ان تخرج من (علبة التواليت) .. وتلعب لعبة الموت والحياة الى جانب مصر وسورية ..

انني انوسل اليها أن تتخلى ، ولو مرة واحدة ، عن (فن التشريفات) والمجاملات ... و (سؤال الخاطر) .. لاننا عرفنا هذه البضاعة الشعرية ، والرمزية ، والسوريالية ، في حزيران ١٩٦٧ .. ولا نريد ان نعرفها مرة اخرى ..

ان الزمن بين الانتصار والهزيمة ضيق جدا ... وان الحرب المعاصرة لا تحتمل الاستخارة ، والتنجيم ، وضرب المنادل ، ولا تربح بالتمنيات الطيبة وحدها ...

ان يد مصر وسورية في النار ... وهما بالتأكيد ليستا بحاجة الى من يرميهما بقصيدة .. أو بوردة .

لكنهما بحاجة الى شركاء حقيقيين ـ لا اسميين ـ يتناوبون معهما حراسة هذا الوطن ، والدفاع عن كل بواباته ...

انني أشعر ان حرب السادس من اكتوبر هي لحظة ولادتنا الحقيقية .. التي أشعرتنا اننا لا نزال قادرين على الاخصاب والانجاب ...

والمطلوب من أعمام هذا الطفل الجميل ، والنادر الذي جاءنا بعد ست سنوات من العقم ..

المطلوب منهم جميعا ان يغطوه جيدا بعباءاتهم ... ويقفوا بكامل سلاحهم حول سريره .

لان النساء لا يزال في أوله ..

وأصوات الذئاب لا تزال تعوي في الخارج .

الاسبوع العربي
١٥ تشرين الاول

وجهي .. وجواز سفري

أسحب جواز سفري العربي من جارور مكتبي .. واشمه ..

أتأمل جلده ، والعقاب الذهبي المرسوم عليه ، وتأشيرات الدخول والخروج ، وملاحظات القنصليات الاجنبية (مواطن عربي ـ للمرور دون توقف) ..

على الصفحة الثالثة ، أرى صورتي للمرة الاولى ..

أرى قسماتي الحقيقية ، وأتأكد من لون عينيّ ، واستطالة انفي ، واستدارة فمي ..

قبل السادس من اكتوبر ١٩٧٣ ، كانت صورتي مشوشة ، وغائمة ، وقبيحة ...

كانت عيناي مغارتين تعشش فيهما الوطاويط والعناكب ، وكان فمي خليجا مليئا بحطام المراكب الغارقة .. وكانت علامتي الفارقة المسجلة في جواز السفر هي انني أحمل على جبيني ندبة عميقة اسمها ٥ حزيران .

اما عمري في جواز سفري القديم .. فقد كان مشطوبا .. لان العالم كان يعتبرني بلا عمر ..

واليوم (٦ اكتوبر ١٩٧٣) يبدأ عمري ..

اليوم فقط .. ذهبت الى مديرية الاحوال المدنية ، واريتهم صك ولادتي التي حدثت في مستشفى عسكري نقال .. يتحرك مع المقاتلين في سيناء والجولان .. فاعتبروني طفلا شرعيا ، وسجلوني في دفتر مواليد الوطن ..

لا تستغربوا كلامي ، فانا ولدت تحت الطوافات ، والجسور العائمة التي علقها مهندسو الجيش المصري على كتف الضفة الشرقية ، وخرجت من اسنان المجنزرات السورية التي كانت تقرقش الصخور

في مرتفعات الجولان .

أعترف لكم ان ولادتي كانت صعبة ..

لقد خرجت من تحت الجنازير .. ومن رحم حاملات الجنود ، ومواسير المدافع ، حتى ان الاطبـــاء حين رأوني في اليوم الاول لولادتي أركض على رمال سيناء ، وصخور جبل الشيخ .. قالوا انني معجزة طبية ..

والواقع انني لست معجزة طبية ..

ولكن الاطباء الاجانب لا يعترفون الا بالولادات التي تحدث في غرف الدرجة الاولى في مستشفيات الولادة ..

اما الولادات التي تحدث في غرف المقهورين ، والمسحوقيـــن ، والمعذبين في الارض ، والجائعين الى الخبز والحرية .. فهم لـــم يقرأوا عنها في مراجعهم الطبية ..

انهم لا يعرفون ان للحزن رحما تفرز ملايين البويضات ، وتخرج ملايين المقاتلين ..

وأنا كنت واحدا من هؤلاء الذين خرجوا من رحم الفجيعـــة والغضب ..

وكانت ولادتي مخالفة لمنطق كل الدكاترة .. وكل المتخصصيـن بالامراض النسائية ، والامراض النفسية ، والامراض القومية ..

انني آسف لانني خيبت رأي الاطباء ..

وآسف لانني مددت لساني لحسابات الكومبيوتر التـي كـانت تؤكد ان ولادتي لن تحدث قبل عشرين سنة ..

وآسف لان الطائرات الاسرائيلية لم تستطع ان تنسف سرير أمي وهي في ساعة المخاض .. كما فعلت في حربها الماضيـــة في حزيران عام ١٩٦٧ ..

●

لا تؤاخذوني اذا ولدت في يوم الغفران ..

ولكن الامر ليس بيدي ..

فمشكلتي انني أصبحت اكبر من رحم الصبر الذي يحملني ..

وان مكوثي ست سنوات في قبو الذل والانكسار والفجيعة ..

لم يستطع ان يلغي ذاكرتي ..

انهم حقنوا جسد أمي ـ الارض بأنواع ابر الاجهاض .. أعطوها حبوبا لمنع الحمل ، وقفوا على ظهرها ، داســـوا على بطنها .. ركلوها .. دحرجوها من أعلى السلالم .. رموها مـــن الطـــابق العاشر ..

ولكن بطن أمي بقي سميكا كقشرة الكرة الارضية .. ومتموجـــا كبحيرة ملأى بالاسماك ..

ونجت أمي من كل محاولات الاجهاض ..

ونجوت أنا ..

وها أنذا أسبح في مياه قنـــــال السويس كسمكة القرش ، وأقطع بأسناني لحم الجنود الاسرائيليين في الجولان ..

فلا تؤاخذوني اذا أكلت لحما في يوم الصوم الكبير ..

ان سمك القرش لا يصوم ...

الاسبوع العربي
٢٢ تشرين الاول

دمشق ... تتزوج

حفلة ألعاب نارية في سماء دمشق ..

حفلة زفاف حقيقية ..

ومدينتي هي العروس ..

منذ حزيران ١٩٦٧ ، قررت دمشق ان لا تتزوج الا عـــلى طريقتها الخاصة ..

رفضت كل الرجال الذين تقدموا اليها ..

ورفضت كل الوسطاء ، وكل سماسرة الزواج ..

ورفضت كل المهور ..

●

كانت تنتظر فارسا طـــويل القامة ، عربي العينين ، ابيض المنكبين ..

يحمل بارودته على كتفه ..

ويجلس على قمة (جبل الشيخ) ..

انتظرته ست سنوات ..

وراسلته ست سنوات ..

واحتفظت بصورته في طيات ثيابها ، وبين اوراق دفـــاترها المدرسية ..

ست سنوات ..

●

أخذوها الى الاطباء النفسانيين ..

فقرروا انها عاشقة حتى نخاع عظمها ..

صوروها بالاشعة ..

فوجدوا فارس (جبل الشيخ) متمددا مع بارودته بيـن الرئـة والقلب ..

أخذوها لعند فاطمة التي تقرأ الحظ في فناجين القهوة ،

فصرخت فاطمة حين رأت رجلا مسلحا يتسلق على جـــدار الفنجـان ..

نصحوها بالسفر الى سويسرا ، والكوت دازور ، وبحيـــرة غومو ، وجزر الكاناري .. والاستحمام بمياه فيشي المعدنية ..

ولكنها ظلت تحمل فارس (جبل الشيخ) في حقـــائبها وتحت ضفائرها ..

●

اقترحوا عليها استئجار شاليه في بيروت ..

حيث البحر ساكن كالزيت ..

والرمال محايدة ..

والاصداف محايدة ..

والاسماك مطمئنة على مستقبلها ، ومستقبل اولادها ..

والشمس ، امرأة اجنبية ، تدلك جسمها بالكريم .. عـــلى تراس فندق السان جورج ..

نصحوها ـ كي تنسى حبها القديم ـ ان تتمشى على أرصفـــة شارع الحمراء .. وتتفرج على مجموعة أزياء الخريف ..

أعطوها شيكا مفتوحا لتشتري كل ما تشتهيه من حقـــائب ، وأحذية ، ومعاطف ، وقبعات .. وأدوات زينة ..

دعوها الى المسارح ، والى سباق الخيل ، والى الكازينو ..

دعوها الى أقبية الستيريو .. والى مسابقات ملكات الجمال ..

ومعارض الكلاب والازهار ..

فاعتذرت بأنها لا تشرب ، ولا تدخن ، ولا ترقص ، ولا تلعـب البريـدج ..

وأخبرتهم انها مخطوبة لمقاتل في (جبل الشيخ) لا يسمح لها بارتداء الميكروجوب ..

●

سماء دمشق الزرقاء مشوبة بآلاف الصواريخ ..
وأطفال دمشق اكتشفوا لعبة جديدة ..
انهم يجمعون أجنحة الطائرات الاسرائيلية المتساقطة فوق سماء مدينتهم ، كما يجمعون الطوابع التذكارية النادرة ..
أطفال دمشق : يتخانقون على نجمة داود ..
يصيح كبيرهم : هذه النجمة لي .. لانها سقطت امام بيتنا ..
لكن النجمه التي ستسقط بعدها هي لك ..
وهكذا .. تتساقط نجوم داود ..
حتى لم يبق طفل دمشقي ، الا ويحتفظ في خزانة العابه بواحدة منها ..

●

في السادس من شهر تشرين الاول ١٩٧٣ ..
تزوجت دمشق حبيبها الذي كان ينتظرها على قمة جبل الشيخ ..
تزوجته بالعنف ..
ونامت ، بعد ست سنوات من الانتظار ،
بين ذراعي حبيبها ...

الاسبوع العربي
٢٩ تشرين الاول

يتفرجون على المعركة ..

كتبت رينه فرنكودس ما يلي :

في سؤال طرحته على الشاعر نزار قباني عن مدى استعداده للقيام بجولات في الدول الاوروبية ، يقدم فيها محاضرات ويلقي قصائد ويناقش في مختلف الشؤون العربية ، بالاضافة الى جمع التبرعات للمعركة ، أبدى الشاعر كامل استعداده للقيام بهذه الخطوة على ان يسبق ذلك تخطيط مدروس على صعيد الدول العربية كلها وسفاراتها في الخارج وان يلقى الدعم والمساندة من الهيئات العربية المتواجدة هناك حتى لا تأتي هذه الخطوة ضعيفة وفردية ، ويمكن بسهولة لبعض العناصر أو المؤسسات الصهيونية ضربها أو القضاء عليها .

هذا ما أبداه نزار قباني ، وطبعا هناك غير نزار من الشعراء والادباء والفنانين الذين يملكون نفس الاستعدادات ، فهل تقوم أو تؤلف لجنة او جمعية او تجمع يعمل على درس هذه الخطوات وتنسيقها والاعداد لها في العواصم والبلدان الغربية ؟ وبهذا لا يكتفي بعض الادباء والفنانين والكاتبات والصحافيات بجمع التبرعات بواسطة الدفاتر الخاصة بالمجهود الحربي . هل هناك من فكر جديا وفعليا بالخروج من الفترينات الزجاجية ؟

الصدق دائما يصل

□ كان شعرك بعد الهزيمة تجريحا عنيفا للتخلف العربي ، فكيف تفسر انه بعد سنوات قليلة استطاع انساننا ان يعبر القناة ويصعد الجولان ؟

ـ كتابتي عن هزيمة ١٩٦٧ وكل الكتابات التي انطلقت من الصدق والموضوعية ومراجعة النفس ، هي التي أوصلت الى نصر ١٩٧٣ . الصدق دائما يصل ، وبالتالي فان الصراخ في وجه الخرافة ، هو الذي جعل العبور الى الضفة الشرقية ، والى مرتفعات الجولان ممكنا ...

انني لا أعتذر لاحد عن كتابات ١٩٦٧ ، لانني أعتبرها عاملا من عوامل التحريض ، ودعوة للانقضاض على كل الموروثات الجاهلية التي كانت تسيطر على العقل والسلوك العربيين في تلك الحقبة ، ان اقصر طريق للخروج من مغارة أهل الكهف ، هي قتل اهل الكهف .. وافضل وسيله زراعية للتخلص من الحشرات التي كانت تمتص دم الامة العربية ، هي احراقها بالنفط ..

ان اللجوء الى العنف الادبي ، في رأيي ، هو مثل اللجوء الى العنف العسكري ، يصبح مشروعا حين يصبح الاصلاح بالادوية المسكنة مطلبا مستحيلا . وممارسة العنف الادبي ، على الوجدان العربي ، كان من جملة العوامل التي ساعدت على ولادة (انسان قناة السويس) و (انسان مرتفعات الجولان) . وهذان الانسانان لم يولدا بالصدفة ، وانما خرجا من ارض محتقنة بالغضب ، والفجيعة ، والتمزق ، والوجع الانساني الذي لا وجع مثله . ان عبور القناة وصعود الجولان ، ليسا عبورا وصعودا ماديين فحسب ، ولكنهما يعكسان عبور النفس العربية من مرحلة الانفعال الى مرحلة الفعل ، وصعود الغضب العربي من مرحلة الشكوى ، الى مرحلة الاقتحام .

□ في تجارب الكثيرين من شعراء المقاومة الوطنية ضد النازي او ضد اميركا في فيتنام ، ملامح للالتحام مع القوات المقاتلة ، سرا وعلنا .. لم نسمع حتى الآن ان واحدا من شعرائنا المعروفين قد جند على نحو من الانحاء . في رأيك ألن يترك ذلك اثره على الشعر الذي يكتب الآن والذي سيكتب فيما بعد « عن » المعركة ؟

ـ نحن جميعا هاربون من الجندية .. وكل أدبائنا يصطنعون المرض ، ويقدمون التقارير الطبية .. ويتفرجون على المعركة من الطابق العاشر ، من شقتهم المكيفة بالهواء ، والمفروشة بالموكيت ..

نحن لا نعرف شكل الموت الا في السينما ، ولا نعرف اللون الاحمر الا في الرسم ، اما الموت الحقيقي ، والدم الحقيقي الذي يسقي كل ذرة امل في صحراء سيناء ، ومرتفعات الجولان ... فنحن نركبه تركيبا كيميائيا في مختبرات خيالنا . ان مئات المراسلين الصحفيين ماتوا في الحروب بحثا عن خبر جديد، او لقطة فوتوغرافية نادرة ، لكننا لم نسمع ان شاعرا ، او كاتبا عربيا واحدا مات وهو يبحث عن لقطة شعرية او روائية نادرة .

ان همنغواي مثلا كتب روايته الشهيرة « لمن تقرع الاجراس » وهو يعيش مع المقاتلين في الحرب الاهلية الاسبانية ، واراغون وايلوار واندره مالرو وكامو وسارتر اشتركوا اشتراكا فعليا في حركة المقاومة الفرنسية اثناء الاحتلال النازي لفرنسا عام ١٩٤٠ ، وكذلك بابلو نيرودا اشترك في الحرب الاسبانية الى جانب الجمهوريين عندما كان قنصلا للتشيلي في مدريد .. أختصر القول فأقول ان الشاعر ـ الموديل ـ او الشاعر ـ المانيكان ـ الذي يجلس في فترينة زجاجية ليتفرج عليه السياح ، قد انتهى امره ، وفي مناخ حربي كالمناخ الذي نعيش فيه هذه الايام ، يشعر الاديب العربي ، انه ممثل ثانوي جدا ، امام الابطال الحقيقيين الذين يغيرون بالسلاح خريطة الوطن العربي . ولقد كان الاستاذ توفيق الحكيم على حق حين كتب الى وزير الثقافة طالبا ايجاد (عمل يدوي) له يشارك به في المجهود الحربي المصري .. ان توفيق الحكيم يريد ان يتجاوز

الكلمة الى الفعل ، وهو في تعبيره عن أزمته الخاصة يعبر عن ازمة الادب العربي كله ...

تغيرت مساحة السماء

□ في زمن الحرب لا يقل دور الكلمة عنه في زمن السلم .. ولكن هل تتصور كشاعر ، ان القصيدة التي كتبت في الماضي ، بأوزانها وصورها ، سوف تستمر على نفس النسق ، أم ان متطلبات الحرب سوف ترغم الشاعر على التنازل عن بعض مقتضيات الجمال في سبيل الهدف العاجل ؟

ـ الحرب بطبيعتها تغير الارض وتغير الانسان .. اثناء زيارتي للاتحاد السوفياتي قال لي الدليل الذي كان يمشي معي في شوارع ستالينغراد : هل تعرف ان معركة ستالينغراد مست الحياة تماما في هذه المدينة .. فلم تترك شجرة ، ولا زهرة ، ولا نافذة ، ولا سقفا ، ولا عصفورا ، ولا قطة .. وان كل الاشجار والازهار والعصافير والقطط ... ولدت من جديد بعد معركة تحرير ستالينغراد ؟

هذا الكلام ينطبق علينا ايضا ، بحيث لن يبقى شيء عندنا في مكانه . ستتغير مساحة السماء العربية ، ويتغير شكل الشجر ، وملامح البشر ، وستتغير الابجدية ويتغير الكلام ، وتصبح الجماليات القديمة ملابس فولكلورية ، نضعها في متحف الازياء الشعبية ، ولا نخرجها الا في المناسبات والاعياد القومية . والقصيدة العربية طبعا لن تنجو ابدا من قانون الحرب ، وستكون مضطرة الى التخلي عن كل جواهرها ، وعقودها ، وثيابها المطرزة ، وخلاخيلها الفضية ، اذا أرادت ان تتعايش مع المجتمع العربي الجديد .

□ لسنا في جزيرة مهجورة ، وانما نحن نعيش وسط عالم كبير محيط بنا .. آخر الانباء تقول ان شعراء الصهيونية من يهود اسرائيل واوروبا الغربية واميركا ، يجوبون الدنيا يلقون القصائد والمحاضرات في الجامعات والكنائس والميادين العامة ، ضدنا ، هل هناك مبادرة عربية في هذا الصدد ، وخاصة ان للكثيرين منكم ، أيها الشعراء العرب ، علاقات متينة بالاوساط الادبية في جميع انحاء العالم ؟

ـ ان الفكرة التي تطرحينها ممتازة ، ولكن نجاحها يتطلب شرطين اساسيين : أولهما ايجاد كتابة عربية تستطيع في حالة تعريبها التأثير في الفكر الغربي . وهذا نادر فيما اعرف من اعمالنا الشعرية والادبية ، حيث نتجه بكل ما نكتبه الى القارىء العربي وحده . والشرط الثاني ، هو وقوف الجهاز الاعلامي العربي بكل طاقاته المادية والتنظيمية وراء هذا المشروع ، فبدلا من الانفاق على مهرجان شعري يستمع فيه الشعراء العرب الى بعضهم ، يمكن تمويل سلسلة من الكتب تصدر باللغات الاجنبية وتضم احسن نماذج الادب العربي المعاصر من شعر ، ورواية ، ودراسات جادة . وقد نفذ المعهد العربي الاسباني في مدريد هذه الفكرة بنجاح حين اصدر ترجمات باللغة الاسبانية لشعر المقاومة ساهمت مساهمة فعالة في نقل الفكر الثوري الفلسطيني الى الرأي العام الاسباني .

كانت اميركا طاهرة ومثالية

□ في حرب ١٩٥٦ كانت لك قصائد وطنية تحفظها الجماهير، كرسالتك الى جندي مصري في جبهة السويس . في ١٩٧٣ هل تتصور ان رؤياك للحرب قد تغيرت بما يعكس تغيرا في انتاجك الشعري الحالي (هل تكتب الان) او القادم ، من زاويتي الفكر والفن ؟

ـ انني أتغير كل يوم ، وما كتبته في حرب ١٩٥٦ كان صحيحا بالنسبة لذاك التاريخ . وللظروف التي رافقت تلك الحرب . ففي تلك الحقبة كانت الولايات المتحدة لا تزال محتفظة بطهرها ومثالياتها ، وكان تدخلها عاملا حاسما في تفشيل الغزو الثلاثي البريطاني ـ الفرنسي ـ الاسرائيلي لمصر . أما في حرب ١٩٧٣ فان الولايات المتحدة أصبحت اكبر دولة تمارس الفحش السياسي في العالم ، وترفع سيفها في وجه الحرية والاحرار في كل مكان . وتقوم بدور محامي الشيطان عن الفاشيستية الاسرائيلية . ومن جهة اخرى يتجمع العرب ، للمرة الاولى ربما ، ليواجهوا اهمية الاستعمار الاميركي الجديد ، بكل طاقاتهم الحربية ، والاقتصادية ، والنفطية ، والقومية ، وتذوب تناقضاتهم امام الخطر الذي يهدد ميراثهم وتاريخهم وجذورهم الحضارية .

وعن هذه التحولات التاريخية المدهشة ، تنكون مواقف جديدة للشعر ، ومنظور جديد للشعراء . انني أكتب ، وساكتب ، عن الموقع التاريخي الجديد ، هذا كل ما اعرفه ، ولكنني لا استطيع ان احدد اوصاف هذا الشيء الذي سوف يأتي .. لان الكتابة شيء ، واستحضار الارواح ، شيء آخر .

شاعر الحب في زمن الحرب !

□ استاذ نزار ، منذ أيام سألت احد الشعراء عن ما اوحته اليه هذه الحرب ، وهل كتب او سيكتب قصيدة ما ، فأجابني بأنه لم يكتب حرفا لان هذه الايام ليست ايامه ، على حد تعبيره ، وعلى اعتبار انه معروف كشاعر غزل ، فهل تتصور انت ان هناك تخصصات مثلا في ان يكون هذا شاعر مقاومة ، وآخر شاعر كأس او امرأة او حب وهكذا .. وبالتالي يصبح « فعلا » انتهازيا ان يكتب شاعر الحب في القتال زمن الحرب ، والعكس صحيح ؟

ـ انها حقا اهانة بالغة للشاعر ان نعتبره « سوبر ماركت » تصنف فيه البضائع حسب حاجات ربات البيوت ، فقسم للاطعمة المثلجة وقسم للخضراوات وقسم للحوم الخ .. وبتعبير آخر ان اكبر جناية ارتكبها نقاد شعرنا القديم هي وضع الشعر في زجاجات على الرفوف والصاق اتيكات عليها « هذا شاعر المرأة وهذا شاعر الوصف وهذا شاعر المقاومة الخ ... » .

هذه النظرة التجزيئية الى الشعر هي نظرة صيدلية وبعيدة عن جوهر الشعر ، لان الشاعر في ابسط معانيه هو ذلك الانسان الذي يحقق وحدة الوجود وهارمونية الحياة .

البلاغ
٢٩ تشرين الاول

صدر حديثا

في الادب الليبي الحديث

الكتاب السابع للناقد المصري

احمد محمد عطية

نشر دار الكتاب العربي بطرابلس الغرب ـ الجمهورية العربية الليبية